مراجعة اللســــان

ذ/ إدريس بن الحسن العلمي(*)

أ–بين "الثلاثي" و"الثالثي"

هما مصطلحان اثنان مختلفان كل الاختلاف، لمفهومين اثنين متباينين كل التباين، بيد أن الألسنة والأقلام– في زماننا– سلّطت المصطلح الأول (الثلاثي) على المصطلح الثاني (الثالثي) فنفاه نفيا سحيقا، وحلّ محله، واستبد بوظيفته الذاتية الأصلية، رغما عن تباين المفهومين، بل وتناقضهما، فلا نكاد نجد استعمالا للمصطلح "الثالثي"إلا في اصطلاح الكهنوت المسيحي العربي الذي احتفظ له بدلالته اللغوية عانيا به "عضوا من الدرجة الثالث".

ففي استعمال المصطلح "الثلاثي" للدلالة على المفهومين المتناقضين تعسف يأباه المنطق وترفضه اللغة. ولتبيان خطورة هذا التعسف الذي يجرّ معه من الالتباس ما اللغة غنية عنه، وبريئة منه، يجدر بنا أن ننكب على بحث الدلالة اللغوية للمصطلحين "الثلاثي" والثالثي".

الثلاثي:

ورد في "لسان العرب" لابن منظور، ضمن مادة "ثلث" وفي "تاج العروس من جواهر القاموس "لمرتضي الزبيدي ما يلي:

الثلاثي: المنسوب إلى الثلاثة (على غير قياس). الثلاثي: المنسوب إلى ثلاث "أشياء، أو كان طوله ثلاثة أذرع: (ثوب ثلاثي ورباعي) والكلمات الثلاثية: التي اجتمع فيها "ثلاثة أحرف "هـ".

وفي "المعجم الوسيط "الذي أصدره "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة ما يلي:

الثلاثي: المنسوب إلى الثلاثة(على غير قياس). وما ركّب من ثلاث.يقال:رسم"ثلاثي، وكلمة ثلاثية".

(*) خبير سابق بمكتب تنسيق التعريب (الرباط)

فالمصطلح "الثلاثي"، إذن، يدل على الشيء المركب من ثلاثة أطراف، أو المكوّن من ثلاثة عناصر. فإن قلنا، مثلا، "لجنة ثلاثية "فإننا نعني بها لجنة مركبة من ثلاثة أعضاء. وإن قلنا "اجتماعا ثلاثيا " نعني به" اجتماعا يضمّ ثلاثة أطراف". ويقابل المصطلح "الثلاثي" في اللغة الفرنسية لفظ "Tripartite" وبالتالي، عندما نقول "طريقا ثلاثية "ينبغي أن نعني بها" طريقا تتركب من ثلاثة أجزاء " أو "متشعبة ثلاث شعب "أي" طريقا تشتمل على ثلاث طرق فرعية". ولا يصح بأي حال أن نعني بها "طريقا من المرتبة الثالثة" مقابلين بها اللفظ الفرنسي "Tertiaire" على نحو ما هو شائع الآن.

وفي شرح اللفظ الفرنسي "Tripartite" ورد في معجم "le Petit Robert" ما يلي:

1 - Didact. Divisé en trois parties…

2 - Qui réunit trois éléments, trois parties ou partis…"

فاستعمال معاجم الترجمة والمترجمين اللفظ العربي "ثلاثي" قبالة اللفظ الفرنسي "Tripartite" هو استعمال صحيح لا اعتراض لنا عليه. لكن استعماله أيضاً قبالة اللفظ الفرنسي "Tertiaire" هو استعمال غير صحيح، وغير صالح ولا يجوز. فاللفظ الفرنسي "Tertiaire" يعني المنسوب إلى المرتبة الثالثة ويشهد به معجم "Robert" على النحو التالي:

« Tertiaire de tertius (lat.) « » sur le modèle de « toisième » promaire … etc »

الثالثي:

الثالثي المنسوب إلى المرتبة الثالثة.

ففي فنّ تقسيم الطرق وترتيبها من حيث الأهمية أو الجودة أو الصلاحية ثلاثة مصطلحات فرنسية متداولة وهي مع مقابلاتها العربية كما يلي:

1) طريق رئيسية — 1) Route principale

2) طريق ثانوية — 2) Route secondaire

(نسبة إلى المرتبة الثانية)

هاتان الترجمتان صحيحتان لا اعتراض لنا عليهما.

3) طريقة ثالثية (هي الترجمة الصحيحة لكن غير مستعملة) — 3) Route tertiaire

والمستعمل الشائع بدلها كما قلنا هو "طريق ثلاثية" وقد بينا خطأ هذه الترجمة من حيث الدلالة اللغوية أما من حيث المنطق فإننا نتساءل كيف يسوغ لنا أن نسمي الطريق التي هي في المرتبة الثانية "طريقا ثانوية" بنسبتها إلى لفظ "الثاني" ونمتنع عن تسمية الطريق التي هي في المرتبة الثالثة " طريقا ثالثية " بنسبتها إلى لفظ "الثالث" ؟ وبدلا من هذه التسمية الصحيحة نسوغ لأنفسنا أن نطلق عليها اسم "طريق ثلاثية" وهي تسمية لا تفيد معنى العبارة الفرنسية " Route tertiaire " بل تؤدي معنى العبارة : "Route tripartie ".

وهذا الخطأ ساعدت على انتشاره معاجم الترجمة الفرنسية العربية وعلى رأسها المعجم الأكثر انتشارا الذي نجلّه ونقدره كثيرا لأنه استطاع أن يسد الثغرة الكبيرة التي عجز عن سدّها معجم "بولو" المسيحي الفرنسي العربي رغم مكثه عقودا عديدة يحتل الصدارة في الترجمة بل ولبث دهرا طويلا ينفرد بالمرجعية عند جمهور المترجمين من الفرنسية إلى العربية، حتى أنعم الله عليهم وعلى لغة الضاد بظهور "المنهل" ذلكم المعجم القيم الذي أتحفنا به الدكتور جبور عبد النور والدكتور سهيل إدريس جزاهما الله عن لغة القرآن خير الجزاء، وندعوه سبحانه وتعالى أن يمد في عمرهما للمزيد من عطائهما القيم ولمداومة تنقيحه وتصحيح ما يستوجب التصحيح.

فنحن نجد في الطبعة التاسعة لهذا المعجم الصادر في سبتمبر 1986 بأعلى الصفحة رقم 1046 ما يلي:

" ثلاثي " Tripartit ,e ou tripartite adj"

(مكوّن من ثلاثة أقسام)

وهذه ترجمة صحيحة لا اعترض لنا عليها كما سبق لنا القول.

لكننا نجد في نفس المعجم بأسفل الصفحة رقم 1015 لفظ " ثلاثي" الذي سبق وضعه في الصفحة 1046 قبالة " Tripartite"موضوعا قبالة اللفظ الفرنسي "Tertiaire" على النحو التالي:

" ثالث. ثلاثي. Tertiaire Adj"

" العصر الثلثيّ – L'ère-ou"

" القطاع الثالث – Le secteur"

(فئة من السكان تعمل في التجارة والخدمات والتأمينات الخ...)

ملاحظتنا بشأن هذه المقابلات تنصب على لفظ "ثلاثي" فقط فهو عين الخطإ. ولذلك نرجو أن يتدارك فيما يستقبل من الطبعات، بإحلال لفظ " ثالثي" محله.

ب) "بينما " و " فيما"

وكما سلّطت كلمة "ثلاثي" على كلمة "ثالثي" فَنفَتها، كذلك سلّطت "فيما" على "بينما" فلم نعد نسمع لهذه الأخيرة ذكراً ولم نعد نشعر لها بوجود، مع أنّ اختلافا كبيرا بين دلالتي الكلمتين، لا يسمح بأي حال أن تحل "فيما" محـل" بيـنما". فهذه الكلمة الأخيرة (بينما) كما نصت عليه كتب اللغة تستعمل لإفادة المفاجأة، على عكس كلمة "فيما" التي لم تستعمل قط لتأدية معنى المفاجأة طوال تاريخ حياة اللغة العربية حتى أيامنا هذه حينما فاجأنا المتعسفون باستعمالها محل "بينما" وبدلا منها، وهو استعمال تنكره اللغة ولا تجيزه بتاتا.

فمّما جاء في (لسان العرب) لابن منظور في مادة "بين":

"... ويقال بينا وبينما وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة... وفي الحديث : بينا نحن " عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذ جاءه رجل..." ومنه قول الحرقة بنت النعمان:

" بينا نسوس الناس والأمر أمرنا

إذا نحن فيهم سوقة نتنصّف"

وقال القطامي:

" فبينا عمير طامح الطرف يبتغي

عبادة إذ واجهت أصحم ذا خثر "

"و... قول أبي داود:

" بينما المرء آمن راعه را

ئع حتف لم يخش منه انبعاقه"

وفي شرح كلمة "بين " ورد في " المعجم الوسيط" الذي أصدره "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة ما يلي: "... وقد تزاد عليها الألف أو "ما" فتصير "بينا" و"بينما" وتكون ظرف زمان بمعنى المفاجأة. ولها صدر الكلام "هـ".

فلفظ "ما" في " بينما" زائد يمكن الاستغناء عنه بينما هو في " فيما " اسم موصول يعني "الذي" ولا يمكن الاستغناء عنه. قال تعالى: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا " (الآية 93 سورة المائدة) وقال تعالى : الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون" الآية 69 سورة الحج).

ت)لا ، لا ، ثم ، لا ، لـ"سوف لن"ولـ"سوف لا"

شاع في السنين الأخيرة استعمال "سوف لا" و"سوف لن" مع الفعل المضارع لإفادة نفي الفعل في المستقبل، وهو خطأ فظيع للاعتبارات التالية:

1. " سـوف" مثلها مثل السين المتصلة بالفعل المضارع في مثل قولنا "ستنجح" أو "سوف تنجح"، لا ينبغي أن يفصلها فاصل عن الفعل المضارع فكما أننا لا يمكننا أن ندخل أداة من أدوات النفي على العبارة " ستنجح" فكذلـك لا يمكن إدخال النفي على العبارة "سوف تنجح" والفرق بينهما في المعنى أن عبارة " ستنجح" يراد ا وقوع النجاح في أمد أقرب من الأمد الذي تفيده "سوف تنجح" وذلك حسب البصريين.
2. وقوع النفي في المستقبل الذي يقصده القائلون "سوف لا" أو "سوف لن " تفيده لن "وحدها مقترنة بالفعل المضارع مثل العبارة التالية "لن تخسر" أو "لن تخفق" بدون حاجة إلى إضافة "سوف" التي لا تكون مع النفي بل تكون لزاما مع الإثبات.

فمما يتعلمه التلاميذ في المدارس الابتدائية أن النفي في الزمان الماضي تفيده الأداة "لم" متصلة بالفعل المضارع، وأن النفي في الزمان الحاضر تفيده الأداة "لا" متصلة بالفعل المضارع، وان النفي في الزمان المستقبل تفيده الأداة "لن" وحدها متصلة بالفعل المضارع.

3. "سوف" اشتق منها فعل "سوّف" (سوّفه، يسوّفه تسويفا) بمعنى قال له: "سوف أفعل" بمعنى وعده بفعل شيء يطلبه منه أو ينتظر منه وقوعه، لا عدم وقوعه.
4. لم يسمع بعبارة "سوف لا" ولا "سوف لن" إلاّ في السنين الأخيرة ولا نجد أثرا لأيتهما في كلام العرب بتاتا، لا في أشعارهم ولا في خطبهم، ولا في القرآن الكريم، ولا في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا فيما كتبه الكتاب قديما أو حديثا، وذلك لأنهما غير صحيحتين،ومخالفتان لما نصتّ عليه أمّهات كتب اللغة، كما نستشهد عليه فيما يلي:

- في "لسان العرب" لابن منظور: "سوف: كلمة معناها التنفيس والتأخير "قال سيبويه": سوف كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد، ألا ترى أنك تقول: "سوّفته "إذا قلت له مرة بعد مرة" سوف أفعل " ولا يفصل بينها وبين "أفعل" لأنها بمنزلة السين في "سيفعل" وقال " ابن جنّي: وهو حرف، واشتقوا منه فعلا فقالوا "سوّفت الرجل تسويفا" "ا هـ".

- في "تـاج" العـروس من جواهر القاموس "لمحمد مرتضى الزبيدي : سوف معناه "الاستئناف"، أو كلمة تـنفيس فـيما لم يكن بعد كما نقله الجوهري عن سيبويه، قال:" ألا ترى أنك تقول سوّفته إذا قلت له مـرة بعـد مـرة "سـوف أفعـل" ولا يفصـل بينـها وبين أفعل، لأنـها بمنزلة السين في "سيفعل" وقال ابن دريـد "سـوف": كـلمة تسـتعمل في الـتهديد والوعيد والوعد فإذا شئت أن تجعلها إسما نوّنتها... ومن المجاز يقال : "فلان يقتات السوف": أي يعيش بالأماني ".ا هـ"
- في" مغـني اللـبيب عـن كـتب الأعـاريب "لجمـال الدين بن هشام الأنصاري: "سوف مرادفة للسين أو أوسـع منها (على الخلاف يعني الخلاف في مدة الاستقبال في السين " وفي سوف) ومعنى قول المعربين فيهـا "حـرف تـنفيس": حـرف توسـيع وذلـك أنّها نقلت المضارع من الزمن الضيق– وهو الحال– إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال..." اهـ.
- في" المعجـم الوسـيط" مع اللغة العربية بالقاهرة:" سوف: حرف مبني على الفتح، يخصص أفعال المضـارعة للاسـتقبال، فيرد الفعل من الزمان الضيق وهو الحال إلى الزمان الواسع وهو الاستقبال. وهـو يعني: "سأفعل " وأكثر ما يستعمل في الوعيد. وفي التـ يل العزيز:كلاّ سوف تعلمون، ثم كلاّ سـوف تعـلمون". وقد يستعمل في الوعد. وفي التنـزيل العزيز" ولسوف يعطيك ربك فترضى ".هـ".

****

فحـتى مـتى يسـتمر هذا التعسف اللغوي؟ لعلّه لن ينتهي إلا بتجند جميع المثقفين من أجل مراجعة المحررين والمذيعين في محطات الإرسال السمعية والبصرية كلما صدر عنهم الخطأ وذلك بعزيمة قوية متيقظة لا تعرف الملل ولا تكـتفي بتنـبيه واحـد بـل لا تتردد في إعادة الكرة على المتعسفين ولو ألف مرة في الخطإ الواحد ولا تكف عن مراجعتهم حتى يستقيم اللسان.

المراجـع

- لسان العرب

للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري طبعة دار صادر بيروت.

- تاج العروس من جواهر القاموس

للإمـام الـلغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر سنة 1306 هجرية.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب

لجمـال الديـن بـن هشـام الأنصـاري المتوفى سنة 761هـ حققه وعلق عليه الدكتور مازن المبارك أستاذ العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق ومحمد علي حمد الله مدرس اللغة العربية في دار المعلمين بدمشق وراجعه سعيد الأفغاني رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دمشق سابقا. طبعة "دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان".

- المعجم الوسيط

أصدره "مجمع اللغة العربية "بالقاهرة– طبعة "دار الدعوة –استانبول – تركيا.

- المنهل

قـاموس فرنسي–عربي– تأليف الدكتور جبّور عبد النور والدكتور سهيل إدريس . الطبعةالتاسعة (سبتمبر 1986)– طبعة دار العلم للملايين.

- المنجد

الفرنسي– العربي – الطبعة الأولى –دار المشرق– بيروت.

- Le Petit Robert
  Dictionnaire de la langue Française
  Par Paul Robert,
  Edition corrigée et mise à jour en 1992.
  Dictionnaire le Robert- Paris